ورقة بحثية مجلة مفتوحة الوصول

مختارات من الأساطير اليونانية

د. يوسف سعيد شاهين

(كلية فنون الأداء ، جامعة المنارة، البريد الإلكتروني: yousef.shaheen@manara.edu.sy)

الملخص:

يُقدم البحث استعراضاً لبعض الأساطير اليونانية وهي مجموعة واسعة و رائعة من القصص والحكايات التي بدأت في اليونان القديمة حول حياة الآلهة والإلهات ومغامراتها، وأنصاف الآلهة، والأبطال الأسطوريين من البشر الفانين، إضافة إلى الوحوش والمخلوقات الأسطورية المرعبة التي كانت تُشكّل جزءاً أساساً من الثقافة المتوارثة والحياة اليومية في العالم القديم. على الرغم من أن الأساطير اليونانية تُقدم شرحاً وتفسيراً لمُجمل الطقوس الدينية والاجتماعية السائدة في ذلك الوقت، وتعطي معنى للعالم وظواهره المختلفة كما رآها الإنسان القديم، لكنها ما زالت حاضرة ومؤثرة في المجتمعات والثقافة الغربية الحديثة بطرق مختلفة ليس أولها العلامات التجارية الشهيرة ولا آخرها أسماء الأطفال.

كلمات مفتاحية_ الأساطير اليونانية، الآلهة اليونانية، آلهة الأوليمب، قصص الآلهة اليونانية.

I. مقدمة

لا يعرف كثيرون أنهم يستخدمون أسماء ومصطلحات تعود في أصولها إلى الأساطير اليونانية. على سبيل المثال، العلامة التجارية "نايكي" Nike هي اسم لآلهة النصر، والموقع الإلكتروني "أمازون" Amazon سُمي على اسم جنس من المحاربات الأسطوريات، ولا ننسى اسم السفينة الشهيرة "تايتانيك" التي استعارت اسم الجيل الأول من الآلهة اليونانية Titans، وكذلك "بوسيدون"، وهو اسم بعض المنتجعات البحرية، يتبع اسم إله البحر Poseidon. أما المهتمون بشؤون المسرح من كتاب ونقاد وفنانين وجمهور في العالم يعرفون المكانة الخاصة التي تحتلها الميثولوجيا اليونانية وما قدمته للمسرح الإغريقي القديم الذي استند في نشأته إلى ما وفّرته من أساطير وحكايات عن الآلهة وأنصاف الآلهة والصراعات فيما بينهم، والعلاقة المعقدة، والعدائية في كثير من الأحيان، بينهم وبين البشر. ومن المعروف أيضاً أن للأساطير اليونانية تأثيراً كبيراً في ثقافة وفنون وآداب الحضارة الغربية ولا تزال تُشكّل جزءاً مهماً من التراث والثقافة الأوروبية الغربية، استوحى منها الشعراء والفنانون منذ العصور القديمة الإلهام، وفي موضوعاتها، اكتشفوا أسئلة وهموماً وصراعات ما تزال معاصرة حتى الآن. كقصة الملك أوديب، الذي قتل والده وتزوج والدته مثلاً، مألوفة اليوم لكثير من الناس، حتى لأولئك الذين لا يعرفون سوى قليل عن الأساطير الكلاسيكية. بالطبع، يرجع الفضل في ذلك إلى العالم ورائد مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد الذي استلهم منها نظريته في التحليل النفسي، "عقدة أوديب"، وكذلك مرض "النرجسية"، أو "اضطراب الشخصية النرجسي"، الذي تنطلق جذوره الأولى من الأساطير اليونانية القديمة، وحكاية الشاب الجميل وشديد الوسامة Narcissus الذي أصبح مفتوناً جداً بها عند رؤية انعكاس صورته على الماء لأول مرة، إلى درجة أنه لم يستطع التوقف عن التحديق بها، وظلّ على حافة الماء حتى مات. نلاحظ أيضاً أنه ومنذ عصر النهضة استمر انتشار الأساطير اليونانية وشعبيتها، ويظهر ذلك واضحاً في لوحات فنانين أمثال ليوناردو دافنشي ومايكل أنجلو. كما نلاحظ ذلك التأثير في كامل التراث الأدبي في ذلك العصر، ونجد ذلك في أعمال بترارك، بوكاشيو، دانتي، تشوسر، ميلتون، راسين، جوته وحتى شكسبير. وأما الرومانسية التي ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر فيرجع لها الفضل في تعزيز الاهتمام والحماس لكل مفردات المدرسة الكلاسيكية بما في ذلك الميثولوجيا اليونانية. ومع تطور حياة الإنسان الثقافية والاجتماعية والسياسية، بقي العديد من الكتاب و

الفنانين في العالم اليوم يعتمدون على هذا التراث الغني القادم من الماضي، إذ يعيد كثير منهم إعداد الموضوعات الإغريقية من أجل عرضها على الجمهور.

II. أهم قصص الأساطير اليونانية:

أ. حرب طروادة:

تعد حرب طروادة من أشهر القصص التي رواها الشاعر اليوناني هوميروس في ملحمته "الإلياذة"، عن أعظم الحروب في الأساطير الكلاسيكية بين مملكتين: اليونان الميسينية وطروادة، ولمعرفة أسباب هذة الحرب، لا بد من الرجوع إلى قصص آلهة الأوليمب، والبداية بحكاية ثيتيس Thetis وبيليوس Peleus. تقول الأسطورة إنه قبل حرب طروادة بسنوات عديدة وقع كل من بوسيدون، إله البحار، وزيوس، رب الأرباب، في حب آلهة بحر وحورية جميلة تدعى ثيتيس Thetis، وأراد كل منهما أن يأخذها عروساً له، لكنهما تراجعا عن ذلك القرار بعد إبلاغهما بعواقب ما يفكران به. يُقال: إنه كان مقدراً على ثيتيس أن تلد ابناً سيصبح أقوى من أبيه، وسيكون في يده سلاح أقوى من الرمح ثلاثي الشعب أو الصاعقة (وهذه هي أسلحة زيوس رب الأرباب)، في حال ارتبطت مع زيوس أو أحد إخوته. لم يرغب زيوس في المخاطرة بأي شيء، لذلك قرر أن يزوّج ثيتيس للملك بيليوس Peleus، "الرجل الأكثر تقوى والذي يعيش في سهل إيولكوس Iolcus". وهو ما حصل فعلاً، وأُجبرت ثيتيس على الزواج من هذا الملك البشري المسن بأمر من زيوس الذي قرر إقامة وليمة ضخمة للاحتفال بزواج ثيتيس وبيليوس. خلال حفل الزفاف، ولأنها لم تدعَ للاحتفال، قررت إلهة الفتنة والخصام، إيريس Eris الانتقام، وألقت تفاحة ذهبية بين الآلهة تُعطى إلى "الأجمل بينهن". وهكذا، نشبت الحرب كمشاجرة بين ثلاث آلهة (أفروديت وأثينا وهيرا) على تفاحة ذهبية، يشار إليها أحياناً باسم تفاحة الفتنة والخصام Apple of Discord، حيث طالبت كل منهن أن تكون التفاحة من نصيبها. توسّط زيوس بينهن، وحكم أن باريس Paris الرجل الفاني والأمير الشرعي لطروادة Troy، سيكون القاضي بينهن لأنه أظهر نزاهة مثالية كحكم في مسابقة شارك فيها الإله آريس Ares بهيئة ثور، وتفوق على ثور باريس نفسه، فما كان من الراعي/الأمير باريس في حينها إلا أن منح الجائزة لآريس دون تردد. كان باريس في ذلك الوقت يعيش كراعي غنم على جبل إيدا، ولم يكن على علم بنسبه الملكي إذ تم التخلي عنه عندما كان رضيعاً بسبب وحي قال إنه سيتسبب في تدمير مدينته. على كل حال، ظهرت الآلهة الثلاث أمام الراعي باريس وطلبن منه أن يختار من هي أجملهن جميعاً، وقدمت له كل واحدة منهن هدية. قدمت هيرا الثروة والقوة الملكية، وأما أثينا فقدمت الحكمة والمجد بين الرجال، لكن أفروديت عرضت عليه أن تزوجه أجمل امرأة في العالم. أغراه هذا العرض، ومن دون تردد أعطى باريس التفاحة الذهبية لأفروديت. من ذلك اليوم، أخبرته أفروديت بحقيقة نسبه الملكي وأعادته إلى طروادة، وقدمت له هيلين (أجمل امرأة في العالم) للزواج، واستمرت بتقديم المشورة والنصح له طوال حياته. لكن هيلين كانت زوجة مينيلايوس Menelaus، ملك إسبارطة. فما كان من باريس إلا أن ذهب، برفقة أخيه الأكبر هيكتور Hector، إلى إسبارطة لاختطاف هيلين، وأخذها إلى طروادة. ولكن، حتى قبل أن تنظر هيلين إلى باريس، أصيبت بسهم إيروس Eros، أو كيوبيد Cupid، ووقعت في حبه بمجرد أن وقع نظرها عليه. تذكر المصادر الكلاسيكية أن حرب طروادة بدأت بعد هروب (أو اختطاف) ملكة إسبارطة، هيلين وابنتها هيرميوني إلى طروادة. عندها تملّك الغضب كل ملوك بلاد اليونان للإهانة التي حلّت بهم نتيجة اختطاف باريس لهيلين. وأقنع مينيلايوس، زوج هيلين، شقيقه أجاممنون Agamemnon، بقيادة حملة للعثور عليها وإعادتها إليه. انضم أبطال يونانيون آخرون، مثل أجاكس Ajax ونيستور Nestor وأوديسيوس Odysseus وأخيل Achilles، إلى أجاممنون Agamemnon، إضافة إلى جانب أسطول يضم أكثر من ألف سفينة من جميع أنحاء العالم الهيليني. عبر هذا الجيش بحر إيجه إلى آسيا الصغرى وفرض حصاراً على طروادة، و طالب ملكها بريام Priam بإعادة هيلين. استمر الحصار الذي تخللته مناوشات ومعارك صغرى وكبرى، بما في ذلك مقتل هيكتور وأخيل، لأكثر من عشر سنوات. ثم انتهى الأمر عندما انسحبت الجيوش اليونانية من المعسكر، تاركة وراءها حصاناً خشبياً كبيراً خارج بوابات طروادة، وبعد كثيرٍ من الجدل، وتجاهل تحذيرات كاساندرا Cassandra، ابنة الملك بريام، ملك

الطرواديين، من سحب الطرواديين الحصان الخشبي إلى مدينتهم، خرج الجنود المختبئون داخل الحصان، ودمروا طروادة من داخل أسوارها.

ب. بروميثيوس Prometheus وسرقة النار:

بروميثيوس هو أحد الجبابرة، وابن التيتان إيابيتوس Iapetus والحورية كليمين Clymene، وهو إله النار، والمحتال الأكبر. المعنى الظاهر لاسمه "الذي يفكر بالمستقبل" Fore thinker، يؤكد على قدراته العقلية السامية. غالباً ما يرتبط اسمه بالنار وقضية خلق البشر. على الرغم من أنه تيتان إلا أنه وقف مع شقيقه إبيميثيوس إلى جانب زيوس في الحرب التايتانية. بعد مساعدة زيوس على تحقيق النصر في الحرب، تم إعفاؤهما من العقاب والسجن في تارتاروس لأنهما لم يقاتلا مع زملائهما الجبابرة خلال الحرب ضد الأولمبيين. وكلّفهما زيوس، رب الأرباب الأولمبيين بمهمة خلق الإنسان. شكل بروميثيوس الإنسان من الطين، وبثت الإلهة أثينا Athena الحياة في شكله الطيني، وقرر بروميثيوس أن يجعل الإنسان يقف منتصباً على قدمين، كما هي حال الآلهة، ويمنحهم النار. أحب بروميثيوس الإنسان أكثر من الأولمبيين الذين طردوا معظم عائلته إلى تارتاروس، لذلك عندما أصدر زيوس قراراً يقضي بأن يقدم الإنسان حصة للآلهة من كل حيوان يضحون به، خدع بروميثيوس زيوس وصنع كومتين، واحدة فيها عظام ملفوفة بالدهن الطري، وأخرى تضم اللحم الجيد المخبأ في الجلد، ثم طلب من زيوس أن يختار الحصة التي يريدها. اختار زيوس عظام ودهن الأضحية بدلاً من اللحم. لأنه أعطى كلمته، كان على زيوس أن يقبل بنصيبه السيء من الأضاحي المستقبلية، لكنه، ونتيجة لغضبه من حيلة بروميثيوس، حَرَمَ الإنسان من النار. بروميثيوس الذي أحب البشر شعر بالحزن عليهم، فصعد إلى جبل الأوليمب وسرق النار من ورشة هيفايستوس Hephaestus (إله الحدادة والتصنيع)، ووضعها في قَصَبة مجوّفة وأهداها إلى البشر. بهذه الطريقة، تمكن البشر من معرفة النار، والتسخين، وصنع الأدوات. غضب زيوس غضباً شديداً عندما سمع بهذا الفعل وقرر أن يمنح البشر شيئاً من شأنه أن يعادل هذا الاستحواذ الجديد، (شيء شرير للبشر يعادل قيمة النار التي تحصّلوا عليها). لذلك، طلب من هيفايستوس أن يخلق مخلوقاً يتمتع بالعديد من المواهب والخصال التي سيبتلي بها البشر. بدأ هيفايستوس العمل على الفور، ومزج بعض التراب بالماء وصنع من الخليط شكلًا حلواً وجميلاً، عذراء فاتنة وعذبة على شكل الآلهة الخالدة تدعى "باندورا".

ت. أسطورة الملك أوديب:

هو بطل أحد أعظم مآسي الأساطير اليونانية. تشكّل أسطورة الملك أوديب أهم وأوضح مثال عن المصير المحتوم والقدر الذي لا مفر منه. تبدأ الأسطورة بنبوءة ومحاولة الهروب منها، وتنتهي بتحققها المحتوم. كان القضاء والقدر بالنسبة لليونانيين القدماء أمراً لا مفر منه، وكانت النبوءات التي ينقلها العرّافون والكهنة في معابد الآلهة المختلفة، وخصوصاً معبد الإله أبولو في دلفي Delphi، لا بد أن تظهر وتتحقق بطرق مختلفة. دلفي Delphi، هي مقر أهم معبد يوناني خاص بالإله أبولو Apollo، ويقع على منحدر على جبل بارناسوس Parnassus، على بعد حوالي ستة أميال (10 كم) من خليج كورينث Corinth، وهي في الوقت الحاضر موقع أثري رئيسي في اليونان تم تصنيفه كموقع للتراث العالمي من قبل اليونسكو في عام 1987. أبولو هو الإله الأكثر تبجيلاً بين الآلهة اليونانية، ويختص بين الآلهة بأنه الوحيد الذي يتنبأ بالمستقبل، وينقل إرادة وقضاء والده زيوس إلى البشر، ويكشف لهم ذنوبهم وما يجب عليهم فعله ليتطهروا منها. وأبولو هو الإله الحاكم على القانون الديني والمدني. تقول الأسطورة إنه عندما ولد أوديب قيل لوالديه، لايوس وزوجته جوكاستا ملك وملكة طيبة، أن هناك نبوءة تفيد بأن ابنهما عندما يكبر سيقتل والده لايوس، لذلك قرر الوالدان التخلي عن الطفل. لم يكن مقدراً على أوديب أن يموت في الجبال، لأن الراعي الذي أُمر بالتخلّص من الطفل لم يطاوعه قلبه بأن يفعل، فأعطى الطفل لراعٍ آخر أخذ الطفل إلى مملكة كورينث القريبة Corinth. بالصدفة المحضة، كان ملك وملكة كورينث من دون أبناء، فقاما بتبني الطفل، وبقيت هوية أوديب سرية، حتى لوالديه بالتبني. عندما كبر أوديب وأصبح شاباً، سرعان ما سمع عن نبوءة تخصه هو وتقول أنه كان مقدراً عليه أن يقتل والده ثم يتزوج والدته. ورغبة منه في تجنب هذا المصير بأي ثمن،

قرر أوديب الرحيل عن مملكة كورينث، فهو لا يعرف أن ملك وملكة كورينث ليسا والديه البيولوجيين الحقيقيين. على الطريق وعند مفترق طرق، وقع خلاف عنيف مع موكب مسافر آخر، وتطور الخلاف إلى عراك دموي قتل فيه أوديب إفراد الموكب ولم ينجو منهم سوى مرافق واحد. واصل أوديب رحلته دون علمه أن الجزء الأول من النبوءة قد تحقق، إذ لم يكن الشخص الذي قتله سوى الملك لايوس والده البيولوجي الحقيقي. وصل أوديب إلى مملكة طيبة، وهناك كان الناس ينوحون على ملكهم الذي "قُتل على أيدي قطاع الطرق"، وكانوا محاصرين بأبو الهول. وهو وحش رهيب ومخيف، رأسه رأس أسد، وجسمه جسم امرأة، وله جناحي نسر، كان يلتهم أي شخص يعجز عن حل اللغز الذي يطرحه عليه، وكان قد أُعلن في طيبة أن من يتمكن من حل اللغز وقتل أبو الهول سيأخذ عرش طيبة مكافأة له وذلك عن طريق الزواج من أرملة لايوس. نجح أوديب في حل اللغز، وقتل أبو الهول، وتزوج من جوكاستا ورزقا بأربعة أطفال، دون أن يعلم أن أطفاله كانوا أيضاً إخوته. ولكن، بينما كان أوديب في ذروة سعادته، أصاب وباء مملكة طيبة، فما كان منه إلا أن طلب المشورة من الوحي في دلفي، وكانت إجابة الوحي أنه من أجل وقف الوباء، يجب العثور على قاتل لايوس ومعاقبته. التحقيق الذي أعقب ذلك قاد أوديب إلى الحقيقة. بعد أن أدركت جوكاستا الحقيقة شنقت نفسها، وفقأ أوديب عينيه بدبابيس من ثوبها. بعد أن أعمى نفسه، ذهب أوديب طواعية إلى المنفى برفقة ابنتيه أنتيجون Antigone وإيسمين Ismene، تاركاً صهره كريون Creon وصياً على العرش.

ث. المرأة الأولى: باندورا Pandora:

كما أسلفنا، لم تكن باندورا المرأة الأولى فقط، بل كانت وسيلة عاقب بها رب الأرباب زيوس بني البشر، وكانت مسؤولة عن إطلاق الشرور والعلل الإنسانية في العالم. لقد كانت تحفة فنية استحوذت على إعجاب الآلهة الخالدة نفسها، وأطلقوا عليها اسم باندورا (وتعني "كل الهدايا" باليونانية)، لأن كل الآلهة الذين يسكنون في أوليمبوس قدّموا لها هدية خاصة بها: أعطتها أثينا حكمتها، وألبست هذا الكائن الجديد ثوباً فضياً جميلاً، وعلّمته التطريز والحياكة. بعد ذلك، انضمت أفروديت ومنحتها الجمال، والأناقة والوسيلة لخلق الرغبة والشوق، كما أعطاها هيرمس صوت البشر، وقلباً مخادعاً ولساناً كاذباً. وكأن ذلك لم يكن كافياً، فقد تم تزيينها بالمجوهرات الفاخرة، وتوّجها هيفايسيوس برباط ذهبي رائع، ومنحتها الفصول أكاليل من زهر الربيع. وأخيراً، أُعطيت باندورا جرة تخزين كبيرة (أو صندوق)، هي عبارة عن مهرها المفترض، لتأخذها معها إلى الأرض، وقيل لها إنها يجب ألا تفتحها أبداً تحت أي ظرف من الظروف. تم إرسال باندورا، مع الإله هيرمس، إلى شقيق برميثيوس ويدعى إبيميثيوس Epimetheus، ويعني اسمه "الإدراك المتأخر"، الذي نسي تحذيرات أخيه بروميثيوس له بعدم قبول أي هدية من الآلهة، ونظراً لجمال باندورا الذي لا يمكن مقاومته، رحّب بها في منزله، وتزوّجها، وأنجبا ابنة اسمها بيرها Pyrrha. مع مرور الوقت، استحوذ الفضول على Pandora حول الجرة التي مُنعت من فتحها، فما كان منها إلا أن رفعت الغطاء لترى ما بداخلها فخرجت منها كل الشرور إلى العالم، وشملت هذه الأشياء الفظيعة المرض والأوبئة، والحرب والأحزان، والرذيلة، والكدح وضرورة العمل من أجل الرزق. أدركت باندورا خطأها، وسرعان ما أعادت الغطاء ولكن بعد فوات الأوان، وبقي شيء واحد فقط في الجرة ألا وهو "الأمل" وذلك حتى تتحمل البشرية بطريقة ما مصيبتها الأبدية المفاجئة. ومن خلال هذه العقوبة، عوّض زيوس عن سرقة النار، وأعاد الانقسام الأبدي بين الآلهة والبشر. ثم عاقب بروميثيوس بأن أخذه إلى جبلٍ عالٍ، وقيّده على صخرة بسلاسل غليظة صنعها الإله الحدّاد، هيفايستوس، وفي كل يوم، كان زيوس يرسل نسراً يأكل كبد بروميثيوس عقاباً له على فعلته. ظل بروميثيوس مقيداً لمدة ثلاثين عاماً، كما تقول الأسطورة، حتى أطلق البطل العظيم نصف الإله هرقل Hercules، ابن زيوس، سراحه. هذا هو السبب في أن الأمل هو آخر شيء يموت داخل الإنسان، على الرغم من كونه مخادعاً من وقت إلى آخر، إلا أنه العزاء الوحيد الذي يواجهه البشر في كل المشاكل التي أطلقتها باندورا على العالم. يمثل حدث إطلاق سراح الشرور والأمراض في العالم نهاية العصر الذهبي للإنسان الخالي من المتاعب، وبداية العصر الفضي، وهو الثاني من العصور الخمسة للإنسان وفق تصنيف هيسيود. أما باندورا فأنجبت

لإبيميثيوس ابنة تدعى بيرها Pyrrha ، وتم تزويجها لاحقاً من ابن بروميثيوس ديوكاليون Deucalion، وكان ديوكاليون وبيرها الناجيين الوحيدين من الطوفان العظيم الذي أرسله زيوس لإنهاء العصر البرونزي. بعد ذلك، أعاد ديوكاليون وبيرها إعمار الأرض وملئِها بالبشر، وذلك عن طريق تشكيل الرجال والنساء من الحجارة. وهكذا حسب االأسطورة اليونانية، يمكن عدُّ باندورا جَدّة كل البشر.

ج. بيرها وديوكاليون والطوفان العظيم Pyrrha and Deucalion:

تمثل قصة بيرها وديكاليون نسخة الإغريق القدماء في محاولتهم لتطهير العالم القديم من خطاياه، وإنجاب جنس جديد من البشر، وتستخدم حدوث فيضان كارثي كوسيلة لانقراض الجنس البشري. يتمكن الأشخاص القلائل الذين يتم إنقاذهم من الفيضان من القيام بذلك على متن قارب، وبعد أيام عديدة من توقف المطر، يتمكنوا من الوقوف على اليابسة. تقول الأسطورة إنه بينما كان التيتان بروميثيوس معاقباً من زيوس ومقيداً بالسلاسل فوق جبل القوقاز بسبب سرقة النار، كان العالم على الأرض وشعوبه في وضع أخلاقي سيئ؛ إذ تفشّى الجشع والغضب والغيرة والكراهية بين البشر منذ أن فتحت باندورا ذلك الصندوق المحرم وخرجت منه كل الشرور. كانت الآلهة غاضبة من البشر لأنهم، بصرف النظر عن سلوكهم غير المقبول، كانوا ينسون أيضاً عبادتهم وتكريمهم بالأضاحي والنذور، فقرر زيوس تدمير البشرية جمعاء. يبدو أنه لم يكن هناك سوى شخصين صالحين فقط هما ديوكاليون Deucalion، ابن بروميثيوس وزوجته بيرها Pyrrha. وكانت الآلهة تنظر إليهما على أنهما أكثر الصالحين بين الرجال والنساء على الأرض، فاختاروهما ليكونا الناجيين الوحيدين من تلك الكارثة التي كانت على وشك أن تصيب كل إنسان وحيوان. في أحد الأيام، وفي أثناء زيارته لوالده بروميثيوس، أخبر بروميثيوس ابنه ديوكاليون أن فيضاناً هائلاً كان على وشك تدمير كل شيء عن وجه الأرض ومسحه، لأن الناس نسوا الغرض من خلقهم. سارع ديوكاليون إلى زوجته وأخبرها بالهلاك الوشيك، وقاما بصنع قارب استعداداً للكارثة. ساد صمت غريب غير مريح المحيط، ودون سابق إنذار، أطلقت العاصفة غضبها على البشر وجلدتهم بشدة. صعد ديوكاليون وبيرها بسرعة إلى القارب، وسرعان ما حملهما الفيضان بعيداً. كان المطر غزيراً وهائلاً لأيام ولياٍل طوال ولم يتوقف حتى غطّى الماء كل شيء. قضى غضب الآلهة على كل البشر، ولم تتم المحافظة على سلامة أحد سوى ديوكاليون وبيرها على متن القارب الذي بقي ينجرف لأيام عديدة حتى جفت المياه ببطء، واستقر على اليابسة، فوق جبل بارناسوس Parnassos، بالقرب من منطقة دلفي Delphi. أصاب الفزع والحزن ديوكاليون وبيرها عندما وقعت أعينهما على الدمار والخراب الناجمين عن الطوفان، وسالت دموعهما بلا توقف. ثم ظهر أمامهم الإله هيرمس Hermes، رسول الآلهة، وقال لهم أن يمسحا دموعهما، ودون أن ينظرا إلى الوراء، "أن يقوما بإلقاء عظام أُمهما من فوق كتفيهما". في البداية كان الاثنان في حيرة من هذه الرسالة الخفية، لكن ديوكاليون وجد الحل: "الأم" كانت الأرض و"العظام" كانت الحجارة. جمع ديوكاليون وبيرها كل الحجارة معاً، وبينما كانا يسيران، ألقيا الحجارة خلفهما دون أن ينظرا. وكانت المعجزة: عندما اصطدمت الحجارة بالأرض تحولت إلى بشر. أولئك الذين ألقاهم ديوكاليون أصبحوا رجالاً وسيمين، وأولئك الذين ألقتهم بيرها أصبحوا نساء جميلات. وهكذا أعاد الناجيان من الفيضان العظيم ملء الأرض، وبدأ جنسٌ بشريٌّ مرة أخرى، تحت حكم الملك الحكيم ديكاليون وزوجته الملكة بيرها. (يوجد قصة مشابهة إلى حد بعيد لقصة الطوفان اليونانية في ملحمة جلجامش التي ترجع بتاريخها إلى العصر البابلي القديم (2000–1600 ق.م). جاءت هذة القصة في الملحمة على لسان بطل الطوفان نفسه، والمدعو أوتنابشتيم، عندما وصل إليه جلجامش في نهاية رحلته الطويلة التي شرع بها للبحث عن الخلود، وسأله عن سرّ الحياة والممات، وكيف استطاع الحصول على الحياة الخالدة من دون بقية البشر. قال له أوتنابشتيم بأن خلوده كان حدثاً استثنائياً لن يتكرر مرة أخرى، وأنه ناله عقب الطوفان العظيم مكافأة له على إنقاذ بذرة الحياة على الأرض).

ح. بيرسيفوني Persephone وهاديز Hades:

كانت بيرسيفوني ابنة اديميتر Demeter (آلهة الزراعة والخصوبة) من ملك الأرباب زيوس. عندما كبرت بيرسيفوني، بدا جمالها ساحراً، وعندما رآها هاديز، إله العالم السفلي، وقع في حبها على الفور، وقرر اختطافها. وفي أحد الأيام المشمسة، كانت بيرسيفوني الصغيرة تجمع الزهور في أحد الحقول، برفقة صديقاتها المقربات حوريات المحيط. وعندما ابتعدت بيرسيفوني عنهم بحثاً عن أجمل زهرة، ومدت يدها لتقطف زهرة نرجس جميلة، تثاءبت الأرض، وظهر هاديز في عربته الذهبية، وخطفها بعيداً إلى العالم السفلي. بحثت ديميتر عن ابنتها ليلاً ونهاراً دون جدوى. سألت ديميتر عنها إله الشمس هيليوس Helios لأنه يرى كل ما يحدث فوق الأرض خلال النهار، فأخبرها أن زيوس قد أعطى ابنتها لهاديز Hades، وأن هاديز قد أخذ بيرسيفوني إلى وطنه في العالم السفلي. ذهبت ديميتر إلى زيوس وطالبت بإعادة بيرسيفوني إليها، وهددت بأنها لن تدع الأرض تزهر مرة أخرى إن لم يُستجب لطلبها. أرسل زيوس رسوله هيرمس Hermes، إلى هاديز يأمره بإطلاق سراح بيرسيفوني. لكن، قبل إعادتها إلى هيرميس، أجبر هاديز بيرسيفوني على أكل ست بذور رمان، وكان من المتعارف عليه أنه إذا أكل شخص ما طعاماً في العالم السفلي فلن يتمكن أبداً من الهروب من عالم الموتى. على كل حال، تم لم شمل بيرسيفوني مع والدتها خلال وقت قصير. ومع ذلك، عندما علمت ديميتر بقصة بذور الرمان غضبت غضباً شديداً، فاقترح زيوس حلاً وسطاً: مقابل كل بذرة أكلتها بيرسيفوني عليها أن تقضي شهراً واحداً مع هاديز. قبلت ديميتر باقتراح زيوس. وهكذا، كانت بيرسيفوني تسافر إلى العالم السفلي كل ستة أشهر، وخلال هذه الفترة كانت ديميتر تحزن وتحزن الأرض معها. ولكن بعد ستة أشهر، تعود بيرسيفوني إليها، وتسعد ديميتر، وتزهر الأرض مرة أخرى. وهكذا يمكننا أن نقول إن أسطورة الآلهة عشتار تُمثّل الرواية البابلية لأسطورة بيرسيفوني Persephone اليونانية.

خ. ثيسيوس والمينوتور Theseus و The Minotaur:

ثيسيوس ومينوتور هما بطلا هذه الأسطورة التي تتضمن آلهة ووحوشاً وأبطالاً وملوكاً، واثنتين من دول المدن الرئيسية في العالم اليوناني: أثينا وكريت. مينوتور، وتعني في اليونانية "ثور مينوس"، وهو عبارة عن وحش أسطوري مرعب، له جسد إنسان ورأس ثور. هذا الوحش الأسطوري كان من نسل باسيفاي Pasiphae، زوجة الملك مينوس Minos، من ثور أبيض اللون أرسله الإله بوسيدون إلى مينوس، ملك كريت، ليقدمه له كأضحية. لكن الملك مينوس، بدلاً من أن يُضحّي به، أبقاه عنده وضحّى بغيره. غضب الإله بوسيدون من فعلة مينوس، وعقاباً له جعل زوجته باسيفاي تقع في حب الثور الأبيض. ونتيجة لهذه العلاقة ولد المينوتور. حبس مينوس الأم وطفلها في المتاهة التي صممها وبناها له المعماري الشهير ديدالوس Daedalus. أما عن طعام المينوتور فتقول الأسطورة إنه لما قُتل أندروجيوس Androgeos، ابن مينوس Minos، في أثناء وجوده في أثينا للمشاركة في دورة الألعاب الرياضية، قرر والده مينوس الانتقام من الأثينيين، وطالب، كعقاب لهم، أن يرسلوا إلى جزيرة كريت عدداً من الشبان، كل سبع أو تسع سنوات، وجعلهم طعاماً للمينوتور Minotaur حيث يتم إلقاء الشباب الأثيني في المتاهة المظلمة Labyrinth المليئة بالأروقة والطرق المسدودة التي يستحيل عليهم أن يجدوا لها مخرجاً، حتى يجدهم المينوتور ويلتهمهم. في سنة من السنوات، ربما الثالثة، قرر ثيسيوس Theseus، ابن أيجيوس Aegeus ملك أثينا، أن يكون أحد الشبان السبعة الذين سيُضحّى بهم، ويذهبون إلى جزيرة كريت، وذلك أملاً في أن يقتل المينوتور، وينهي التضحيات البشرية السنوية التي تُقدّم لهذا الوحش. حاول الملك إيجيوس أن يثني ابنه عن قراره، لكن ثيسيوس أصرّ على رأيه ولم يستجب لرجاء والده المقهور. قبل أن ينطلق برحلته، وعد ثيسيوس والده بأنه سيرفع الأشرعة البيضاء عند عودته من جزيرة كريت في حال تمكن من العودة حياً، وسيعود القارب بأشرعة سوداء في حال مقتله. وهكذا أعلن الشاب المغوار ثيسيوس للملك مينوس أنه سيقتل الوحش، لكن مينوس كان مطمئناً فهو رابح في كلتا الحالتين، فهو يعلم أنه حتى لو تمكن ثيسيوس من قتل مينوتور، فلن يتمكن من الخروج من المتاهة حياً. لكن ما حصل لم يكن متوقّعاً، إذ شاءت الأقدار أن يلتقي ثيسيوس هناك بالأميرة إريادن Ariadne، ابنة الملك مينوس، التي وقعت في حبه بجنون من النظرة الأولى وقررت مساعدته لكي يستدل على طريق الخروج بعد أن يقتل الوحش.

أعطت إريان ثيسيوس كُرّة من الخيطان، وطلبت منه حلّها كلما توغل عميقاً في المتاهة. اتبع ثيسيوس نصيحتها، ودخل المتاهة مع كُرّة الخيطان، وتمكّن من قتل المينوتور وإنقاذ الأثينيين، وبدلالة خيط أريادن تمكن من التعرف إلى طريقه للخروج من المتاهة حياً. أخذ ثيسيوس الأميرة أريادن معه، وغادر جزيرة كريت عائداً إلى أثينا. توقف قارب ثيسيوس في ناكسوس Naxos، وأقام الأثينيون احتفالاً ضخماً لثيسيوس وأريادن. بعد ساعات طويلة من تناول الطعام والشراب، نامت أريادن على الشاطئ، ولم تركب القارب الذي أبحر عائداً إلى أثينا. اكتشف ثيسيوس أن أريادن لم تكن معهم على القارب، ولكن بعد فوات الأوان، ونظراً لغضبه وحزنه الشديدين نسي الوعد الذي قطعه لوالده، ولم يغير الأشرعة كما وعد. كان الملك إيجيوس ينتظر على الشاطئ ليرى أشرعة القارب العائد، ولكنه عندما رأى الأشرعة السوداء من بعيد، اعتقد أن ابنه مات، فألقى بنفسه إلى المياه منتحراً، ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم يسمى هذا البحر بحر إيجه نسبة إلى الملك إيجيوس.

د. ديدالوس وإيكاروس Daedalus and Icarus:

ذكرنا في الأسطورة السابقة أن المعماري الشهير ديدالوس الذي صمم القصر المينوي في كنوسوس، والمتاهة الشهيرة، كان صديقاً مُقرّباً للملك مينوس، لكن علاقاتهما بدأت تتدهور في مرحلة ما. لا يُعرف سبب تدهور العلاقة بينهما، ولكن يُقال أن الملك مينوس قام بسجن دايدالوس وابنه إيكاروس داخل المتاهة التي صممها وبناها الأب وابنه ليُسجن داخلها الوحش مينوتور، ولا ينتشر سرّ ولادته للناس. ويقال أيضاً، إن ديدالوس هو الذي نصح الأميرة أريادن بإعطاء ثيسيوس الخيط الذي ساعده على الخروج من المتاهة سيئة السمعة، بعد أن قتل مينوتور، وأن مينوس غضب عندما علم بالخيانة، وسجن دايدالوس وابنه إيكاروس في المتاهة نفسها. كان إيكاروس الابن الصغير لدايدالوس، وكان في ذات الوقت أحد خدام الملك مينوس. كان ديدالوس ذكياً ومبدعاً للغاية، لذلك بدأ يفكر في كيفية هروبه هو وإيكاروس من المتاهة، ولعلمه أن ابتكاره المعماري معقد للغاية، أدرك أنهما لا يستطيعان الخروج سيراً على الأقدام. وكان يعلم أيضاً أن شواطئ كريت كانت محمية تماماً، وهكذا لن يتمكنا من الهرب عن طريق البحر، لذلك كان الطريق الوحيد المتبقي هو السماء. قام دايدالوس بتصميم أجنحة عملاقة، باستخدام فروع شجر الصفصاف، وثبتها إلى بعضها بالشمع، وعلّم ابنه إيكاروس كيف يطير، لكنه أخبره أن يبتعد عن الشمس لأن الحرارة ستجعل الشمع يذوب، ويدمر الأجنحة. وهكذا، تمكن الاثنان من الهروب من المتاهة، وطارا إلى السماء حُرّين. كانت رحلة ديدالوس وإيكاروس هي المرة الأولى التي يتمكن فيها الإنسان من محاربة قوانين الطبيعة والتغلب على الجاذبية. ولكن إيكاروس كان صغيراً ومتحمساً جداً للطيران فدفعه غروره وشعوره المذهل بالحرية إلى اللعب والطيران عالياً لتحية الشمس تارة، والغوص على ارتفاع منخفض نحو البحر تارة أخرى. حاول دايدالوس عبثاً جعل إيكاروس الصغير يفهم أن سلوكه كان خطراً، لكن من دون جدوى، وسرعان ما رأى إيكاروس جناحيه تذوبان، وسقط في البحر ولقي حتفه.

ذ. أسطورة سيزيف Sisyphus وعقابه الأبدي:

تقول الأسطورة إن رب الأرباب زيوس أُعجب بإبنة إله النهر أسوبوس Asopos وتدعى إيجينا Aegina، لكنها لم تقبل أن تكون قرينته، فما كان منه إلا أن حوّل نفسه إلى نسر عظيم، واختطف الفتاة وأخذها إلى الجزيرة التي باتت تُعرف منذ ذلك الوقت حتى زمننا هذا باسم "جزيرة إيجينا Aegina Island. وبدأ الأب أسوبوس البحث عن ابنته، ووصل في النهاية إلى مدينة كورينث Corinth العظيمة التي كان يحكمها الملك سيزيف Sisyphus، وهو حاكم ماكر ذو حيلة عظيمة، وكان قد شاهد بأم عينه الإله زيوس وهو يحمل إيجينا ويختطفها. عندما سأل أسوبوس سيزيف عن ابنته، أخبره أنه رأى زيوس يطير مع إيجينا. سمع زيوس بذلك، وغضب غضباً شديداً لأنه تعرض للخيانة من قبل شخص بشري. لذلك، أرسل ملك الآلهة الموت Death ليُنهي حياة سيزيف، ويقيده في تارتاروس (العالم السفلي). عندما وصل الموت ليُقيد سيزيف بالسلاسل، طلب سيزيف منه أن يوضح له كيفية عمل السلاسل، واحتال عليه، وقيده هو بالسلاسل. لمّا أصبح الموت مقيداً، صار عاجزاً عن قبض أرواح البشر، فتوقف الناس عن الموت. عندها أرسلت الآلهة، آريس Ares، إله الحرب، لتحرير الموت الذي تمكّن هذه المرة من أن يأخذ سيزيف مقيداً إلى عالم الموتى، العالم

السفلي، أو مملكة الجحيم Hades. ومع ذلك، قبل وفاته، كان سيزيف قد طلب من زوجته ميروب Merope ألاّ تدفنه بالشكل الصحيح والمتعارف عليه، وذلك بإهمال وضع قطعة نقود في فمه (كما كان شائعاً على ما يبدو)، وبهذه الطريقة لم يستطع أن يدفع الأجرة لشارون Charon، عامل المركب أو "المعدّية" التي يجب أن تعبر به نهر ستيكس Styx إلى عالم الأموات. غضب هايديز Hades، وأرسل سيزيف إلى عالم الأحياء من جديد. وهكذا، تمكن سيزيف من الهروب من الموت مرة أخرى. عندما تمكنت الآلهة من الإيقاع بسيزيف أخيراً قررت أن عقوبته يجب أن تكون أبدية، فحكم عليه زيوس عليه أن يدفع صخرة إلى أعلى الجبل، وفي كل مرة تصل فيها الصخرة إلى القمة، تعود وتتدحرج مرة أخرى، ويتعين على سيزيف أن يبدأ العمل من جديد. يستخدم البير كامو Albert Camus، الفيلسوف والكاتب المسرحي والروائي الفرنسي أسطورة سيزيف Sisyphus كأساس لفلسفته الوجودية التي تقوم على كتابين هما: أسطورة سيزيف (1942)، والمتمرد(1951)، ومنهما نشأت فكرتين رئيسيتين هما العبثية والتمرد. يعتبر كامو أن أسطورة سيزيف تُمثّل رمزاً لوضع الإنسان في الوجود، و يُمثّل سيزيف الذي عاقبه الإله زيوس عقاباً أبدياً بأن يدحرج صخرة إلى أعلى تل شاهق وبمجرد وصوله إلى القمة تتدحرج الصخرة مرة أخرى إلى الأسفل، وهي تصوّر نضال الإنسان ضد عبثية الحياة.

ر. أسطورة نارسيسوس Narcissus وإيكو Echo:

تُعرف قصة إيكو بأنها قصة حزينة عن الحب من طرف واحد، فهي بفقدانها القدرة على المحادثة، لم يكن بإمكانها فعل أي شيء سوى مشاهدة الرجل الذي تحبه يتلاشى ببطء تحت تأثير نرجسيته. كانت إيكو Echo واحدة من حوريات الغابةWood Nymph، وكانت معروفة بين الآلهة بحبها للثرثرة، فبمجرد أن تبدأ في التحدث مع أي شخص، لا تتوقف. أدرك زيوس أنه يمكنه استخدام ثرثرة إيكو لمصلحته الخاصة، فهو غالباً ما يرغب في مقابلة البشر والحوريات اللواتي يرغب بالتمتع بهنّ، لكن زوجته الغيورة هيرا كانت تشك به وتراقب تحركاته. لذلك، طلب زيوس من إيكو مساعدته في تشتيت انتباه هيرا عندما يطلب منها ذلك. وافقت الحورية فهي كانت حريصة على مساعدة ملك الأرباب ورضاه، فكانت كلما بدأت هيرا في البحث عن مكان وجود زيوس، أو بدا وكأنها تعرفت إلى أحد معشوقاته الجدد، كانت إيكو تظهر، وتبدأ حديثاً طويلاً مع هيرا مما يصرفها عن هدفها لساعات طوال تكفي زيوس لزيارة إحدى معشوقاته والعودة دون أن يكتشفه أحد. في النهاية، علمت هيرا أن إيكو كانت تشتت انتباهها عن قصد، فأنزلت عليها لعنة لمنعها من مساعدة زيوس مرة أخرى، فحرمتها من القدرة على الكلام المفهوم والمحادثة الكاملة، وبدلاً من ذلك، أصبحت قادرة على تكرار الكلمات الأخيرة التي تُوجّه إليها فقط، ومن اسمها جاءت كلمة "صدى". تقول الأسطورة إن إيكو لما عادت إلى موطنها في الجبال، رأت شاباً وسيماً لا يستطيع أحد مقاومة جماله الأخاذ، وهو نارسيسوسNarcissus (نرجس). وقعت الحورية في حب ذلك الشاب، لكنها لم تستطع التحدث معه بسبب لعنة هيرا. فكانت تتبعه في الخفاء بحب وصمت مؤلم، وتنتظر اللحظة المناسبة لوصاله بصبر شديد. في مرحلة ما، شعر الشاب بوجودها وسأل "هل يوجد أحد هنا؟" فأجابته إيكو "هنا". تلا ذلك محادثة مربكة ومتكررة. لكن عندما ظهرت له، رفضها نارسيسوس رفضاً قاطعاً. لم يكن بإمكان إيكو فعل أي شيء سوى مراقبته بصمت من بعيد. أما نارسيسيوس وبينما كان جالساً بالقرب من بركة ماء، رأى فيها انعكاس صورته فأصبح مفتوناً بها لدرجة أنه لم يستطع مفارقتها بسبب هيامه الشديد، ثم بدأ يذوي رويداً رويداً حتى مات في النهاية بجانب بركة الماء. حزنت إيكو ومعها حوريات الجبل الأخريات على فقدان مثل هذا الرجل الجميل، واستعدّين لإعطائه جنازة تليق به، لكن، عندما ذهبن لأخذ الجثة من البركة، لم يجدن هناك أي شيء. لقد تحول جسد نرجس إلى زهور بيضاء جميلة، لا يزال يُطلق عليها اسمه حتى اليوم.

المراجع:

[1]. Hope Mongrieff, A. R., *Classical Mythology: Myths and Legends*. London, Senate, 1994.
[2]. Hard, Robin. *The Routledge Handbook of Greek Mythology*. London, Routledge, 2004.
[3]. Hansen, William. *Handbook of Classical Mythology*. ABC-CELIO, Inc., Oxford, England, 2004.
[4]. Morford, Mark P.O. and Lenardon, Robert J., *Classical Mythology*. Oxford, Oxford University Press, 2003.
[5]. Gantz, Timothy. *Early Greek Myth*. Baltimore, John Hopkins University Press, 1996

[6]. "The Story of Leda & the Swan." *Greek Gods and Goddesses*, January 11, 2022, Accessed 20.5.2023.
[7]. "The Story of Jason and the Golden Fleece." *Greek Gods and Goddesses*, September 13, 2019, Accessed 19.4.2023.
[8]. "Echo." *Britannica*, May 15.2023, Accessed 17.5.2023.
[9]. "Heracles." *Britannica*, May 13.2023, Accessed 10.5.2023.
[10]. "Who was Heracles in Greek Mythology? *The Collector*, Accessed 10.4.2023.

JMU